12

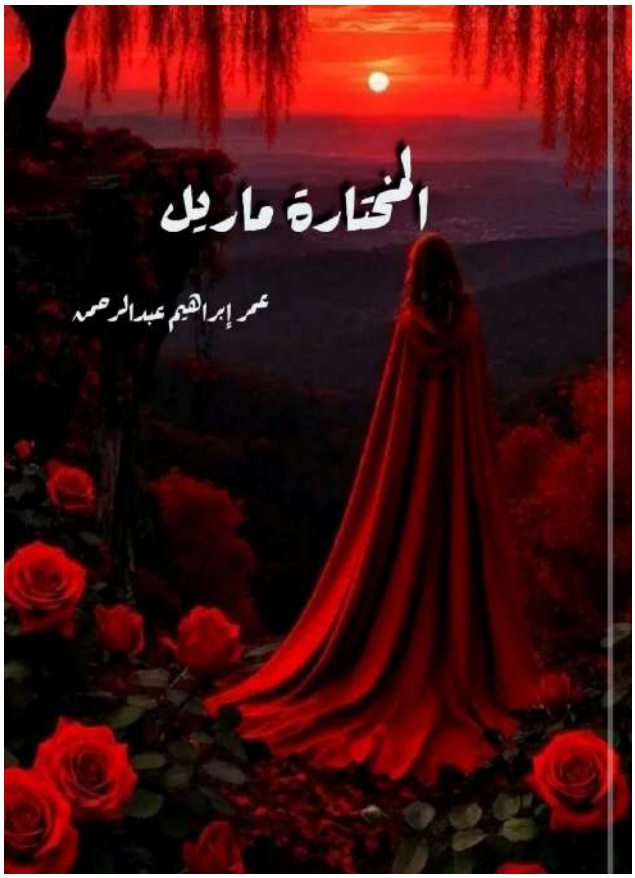

عمر إبراهيم أسنسفوسكي

المختارة ماريل

اسم الكتاب: المختارة ماريل

النوع : رواية

تأليف : عمر إبراهيم عبدالرحمن (أسنسفوسكي)

المقدمة

في ليلةٍ هادئة، حيث تتشبث البرودة بكل شيء، وقفت صباح ماريل أمام نافذتها، عيناها تراقبان السماء الملبدة بالغيوم الرمادية.

كانت قطرات المطر تتساقط بهدوء، كأنها دموع السماء التي تنسكب حزنًا على أسرار لا تبوح بها.

حولها، كتب متناثرة تحكي عن عوالم خفية وألغاز لم

تفك شيفتها.

ورغم جمالها الذي يلفها كوشاح من رقة وحنان، كانت صباح تحمل في أعماقها ثقلًا خفيًا... مزيجًا من الألم والقوة، من ضعف الإنسان وشجاعته في آنٍ معًا.

همست لنفسها، بصوت بالكاد يُسمع:

"ربما في الظلام... أجد حقيقتي."

وفجأة، ارتفعت نغمة غريبة من زاوية الغرفة... من حيث يقبع صندوق خشبي قديم، غطاه الغبار والنسيان.

لم يكن صوتًا مألوفًا، بل كان أشبه بهمس قديم ينبض بالحياة، يناديها لتكتشف شيئًا لم تكن مستعدة له.

بترددٍ يتعارك فيه الفضول والخوف، نهضت صباح واقتربت من الصندوق، وبلطف أزاحت الغبار عن سطحه.

شعرت بدفء غريب ينبعث منه، كأن الحياة تسكن بين

شقوقه الخشبية. وحين فتحته ببطء، وجدت ورقة صفراء باهتة، عليها رموز غامضة وخطوط متعرجة، كأنها خريطة إلى ما لا يُرى.

في اللحظة التي لامست فيها الورقة، تغيّر الهواء من حولها. أصبح أثقل، أعمق، كأن شيئًا ما استيقظ.

وسمعت همسًا خافتًا يحيط بها من كل اتجاه:

إهداء

لكل من كان لي ملاذًا في العالم...

أمي، التي علمت قلبي أن يحب بلا حدود، وصوتها كان دائمًا النور الذي أتبعه حين يضيع الطريق، ويدها كانت دومًا الحاضنة لكل خفقاتي المتعثرة.

وأبي، الذي علمتني القوة في الصمت، والحب في الفعل، والذي كان حضوره الأمان، وكلماته الصامتة دليلًا على كل ما هو نبيل في هذا العالم.

لإخوتي وأخواتي، الذين كانوا لي ظلًا حين أرهقني ضوء الشمس، ورفقة حين احتجت إلى القلب قبل الكلام.

ولأصدقائي، الذين مرّوا في حياتي كنسيم خفيف، يترك أثره في كل يوم، وفي كل ضحكة، وفي كل

صمت يفيض دفئًا.

ولمعتز إبراهيم، الصديق الذي لم يكن مجرد صديق، بل شعور بالأمان والإلهام، ويد تمسك بيدي حين أحتاج إلى دفء العزيمة.

لكم جميعًا... هذا العمل هدية قلبي، امتنانٌ صامت

يتردد بين الكلمات، ويهمس لكل من أحببت في صمت الروح.

الفصل الأول:

منذ أن بدأ الأمر، كانت صباح تشعر أن شيئًا ما يراقبها.

لم يكن خوفًا صريحًا، بل إحساسًا باردًا يلتف حول

عنقها مع كل غروب، كيدٍ غير مرئية تختبر نبضها، ثم تنسحب ببطء.

بدأت الحكاية في غرفة صغيرة، جدرانها شاحبة كأنها لم تعرف الشمس يومًا. في منتصفها، استقرت آلة خياطة قديمة، صدئة الأطراف، مغطاة بقماش داكن مشبع برائحة الزمن؛ رائحة غبارٍ وذكرياتٍ لا تخصها.

كانت قد ورثتها عن خالتها... تلك التي اختفت دون أثر.

لا جنازة.

لا جثة.

ولا حتى خبر.

فقط ورقة مهترئة، وُجدت داخل درج الآلة، كُتبت بخطٍ مرتجف كأنه كُتب في اللحظة الأخيرة:

"لا تكملي الثوب."

قرأت صباح الجملة مرارًا، أحست بثقلها، لكنها لم تفهمها.

ومع ذلك، في تلك الليلة، وكأن يدًا خفية دفعتها، جلست أمام الآلة. لم تشعل سوى شمعة واحدة، وجلست، وبدأت الحياكة.

أول غرزة...

وجاء معها الصوت.

لم يكن صوتًا خارجيًا، لم يأتِ من الجدران ولا من الممرات، بل من داخلها.

كأن شيئًا نائمًا استيقظ فجأة.

همسٌ واضح، دافئ ومخيف في آنٍ واحد:

"ماريل... عدتِ."

تجمدت يداها.

تصلب الدم في عروقها.

هذا الاسم... لم يُنطق منذ سنوات. اسم دفنته في قاع ذاكرتها، لكنه كان يعود دائمًا في كوابيس الطفولة؛
صوتٌ يناديها من الخزانة، من تحت السرير، من الزوايا التي لا يصلها الضوء.

ومع كل غرزة جديدة، لم تكن الخيوط تنسج قماشًا فقط...

بل حيوات.

مشاهد خاطفة، حادة، اقتحمت وعيها بلا استئذان:

رجل يجلس في عتمةٍ خانقة، يبكي دون صوت.

طفل يُدفن حيًا، يطرق التراب بأظافره حتى تنكسر.

امرأة تهمس بكلمة واحدة... ثم تسقط ميتة، واقفة.

لم تكن أحلامًا.

كانت تُسحب من مكانٍ آخر.

مكانٍ مظلم... كانت تظن أنها نسيته.

وفي منتصف الليل، سقطت أول قطرة دم على القماش.

لم تكن من إصبعها.

حدّقت صباح في بقعة الدم وهي تتمدد ببطء، كأن النسيج يتنفسها.

رفعت يدها... لم يكن هناك جرح.

جلدها بارد، جاف، غريب... كأن يدها لم تعد جزءًا منها.

رفعت رأسها.

الغرفة لم تعد هي نفسها.

المرايا المغبرة بدأت تعكس ظلالًا لا تشبهها.

كرسي الخياطة خلفها اهتز قليلًا، كأن أحدهم نهض

لتوّه.

الشمعة انطفأت فجأة... لكن الظلام لم يأتِ.

الضوء كان ينبعث من داخل الثوب.

اقتربت، وقلبها يطرق صدرها بعنف.

الوهج لم يكن ضوءًا فقط، بل مشهدًا حيًا يتحرك بين الخيوط:

امرأة تجر جسدها في ممر طويل، تلتفت خلفها بذعر، وصوت خطوات ثقيلة يقترب... ثم تختفي فجأة، كأنها لم تكن.

تراجعت صباح مذعورة، اصطدمت بالباب.

مدّت يدها للمقبض... مغلق.

ومقفل من الخارج.

في تلك اللحظة، فهمت.

هذا ليس ثوبًا.

إنه بوابة.

كل غرزة فتحت حلمًا مسروقًا.

كل حلم صرخة لم يسمعها أحد.

وهي... دون أن تدري، صارت الخيط الذي يجمعهم، والمفتاح الذي سيوقظهم.

ومن خلف الباب، بدأ صوت أقدام يقترب.

ببطء.

بثبات.

لم يكن عشوائيًا... بل كأن صاحبه يعرف الطريق جيدًا.

التفتت إلى الثوب.

كان ينبض كقلب حي، خيوطه تتلوى كأفاعٍ صغيرة، وكل غرزة تتوهج بلونٍ أحمر باهت.

تراجعت إلى الزاوية.

ثم...

توقف الصوت.

سكون ثقيل.

خانق.

كأن العالم بأكمله حبس أنفاسه.

ثم... صوت كسرٍ عميق.

شيء ما يُخلع من الجهة الأخرى للباب.

أمسكت صباح بالمقص الحديدي.

يداها ترتجفان.

ليست شجاعة... بل بقايا غريزة.

الهواء صار باردًا، أنفاسها خرجت كبخار.
المرايا بدأت تتشقق، واحدة تلو الأخرى...
إلا مرآة واحدة.

حين نظرت فيها، لم ترَ نفسها.

رأت ماريل.

طفلة بثوبٍ قديم، تقف في ممر طويل مظلم.
ابتسمت لها، وقالت بهدوءٍ مريب:

"أخيرًا... عاد الثوب لمن يستحقه."

ثم...

ضحكة قصيرة.

خافتة.

من خلف الباب.

لم تأتِ الضحكة من خلف الباب وحده...

كانت تتردد داخل رأس صباح، تتكاثر، كأن أحدهم يضحك من أعماق جمجمته.

وضعت يديها على أذنيها، لكن الصوت لم يخفُت.

كان أقرب الآن.

أقرب مما يجب.

المرآة التي عكست ماريل بدأت تتعرّق.

قطرات سوداء سالت من أطرافها، لا تشبه ماءً ولا دمًا، بل شيئًا أثقل، لزجًا، كأنه بقايا ذاكرة متعفنة.

الطفلة داخلها لم تعد ثابتة.

كانت تتحرك... خطوة صغيرة للأمام، ثم أخرى.

قالت ماريل، دون أن تحرك شفتيها:

"أنتِ لا تتذكرين... لكن جسدك يتذكر."

شعرت صباح بوخز حاد في عمودها الفقري.

ظهرها انحنى لا إراديًا، كأن غرزة تشد من الداخل.

وفي اللحظة نفسها، ارتفعت إبرة آلة الخياطة وحدها، وهبطت.

تك.

غرزة جديدة.

صرخت صباح.

ركضت نحو الطاولة، حاولت نزع الثوب، تمزيقه، قطعه...

لكن المقص لم يلمس القماش.

كأن الثوب لم يكن موجودًا.

وكأن الخيوط تمر عبره... وعبرها.

فجأة، انفتحت الصور بعنف.

رأت نفسها — لا كما هي الآن، بل أصغر، أضعف.

طفلة تقف في ممر طويل، الجدران فيه تخفق كصدر مريض.

تسمع بكاءً خلفها.

صوت امرأة تقول:

"أكملي... لا تتوقفي."

الذاكرة انكسرت.

عادت إلى الغرفة، لتجد قدميها مبللتين.

السائل لم يكن ماءً.

كان دافئًا.

نظرت إلى الأرض...

الخيوط خرجت من تحت آلة الخياطة، امتدت، تسللت، والتفت حول كاحليها.

شدّت.

سقطت على ركبتيها بقوة.

صرخت، لكن صوتها خرج مبحوحًا، كأنه ليس صوتها.

اقتربت المرآة الوحيدة السليمة منها...

نعم، اقتربت.

لم تعد معلقة على الحائط.

كانت تميل... تزحف.

وجه ماريل صار أقرب.

ملامحها لم تعد بريئة.

عيناها سوداوان تمامًا، بلا بياض، بلا انعكاس.

قالت، هذه المرة بصوتٍ واحد... صوت طفلة وامرأة عجوز في آنٍ واحد:

"كل من لمس الثوب... لبسه."

اهتز الباب بقوة.

ضربة واحدة.

ثم ثانية.

مع كل ضربة، كانت غرزة جديدة تُحاك في الثوب.

ومع كل غرزة، تشعر صباح أن شيئًا يُخاط داخل صدرها.

ضلع ينكسر.

نفَس يُسحب.

اسم يُمحى.

صرخت:

"توقفي!"

لكن الصوت الذي رد لم يكن صوتها:

"لا يمكنكِ التوقف... لأنكِ بدأتِ."

الضربة الثالثة حطّمت القفل.

انشق الباب ببطء، وكأن الغرفة نفسها لا تريد أن

تراه.

لم يظهر جسد كامل.
فقط ظلّ...
ظلّ طويل، مشوّه، رأسه منحني بزاوية غير بشرية.

قال الظل بصوتٍ خفيض:

"أين الثوب؟"

قبل أن تجيب، شعرت صباح بشيء ينسحب من داخلها...

ذكرى كاملة.

سنة من حياتها.

اسم شخص كانت تحبه... اختفى.

سقطت أرضًا، تلهث.

الثوب ارتفع عن الطاولة.

انفتح من المنتصف.

ومن داخله...

خرجت يد صغيرة.

ثم أخرى.

ثم وجه ماريل، لا من المرآة...

بل من القماش نفسه.

ابتسمت، ومالت رأسها، وقالت:

"الآن... جاء دورك."

ماريل خرجت كاملة من الثوب.

لم تكن طفلة كما في المرآة، ولا امرأة كما في الذاكرة،

كانت شيئًا بينهما...

جسد نحيل أطول مما يجب، أطرافه غير متناسقة، كأن العظام أُعيد ترتيبها على عجل.

الثوب لم يكن عليها...

الثوب كان منها.

الخيوط خرجت من جلدها، من عنقها، من مفاصلها، تتحرك كأعصاب مكشوفة.

وعيناها...

لم تنظرا إلى صباح، بل عبرها.

الظل خلف الباب خطا خطوة إلى الداخل.

ومع الخطوة، انطفأ كل شيء دفعة واحدة.

لا ضوء.

لا صوت.

حتى أنفاس صباح اختفت.

ثم...

عاد الإحساس.

لم تكن واقفة.

لم تكن على الأرض.

كانت محاطة بالقماش.

ضغط.

دفء خانق.

رائحة دم قديم وخوف.

حاولت الصراخ...

فدخل الخيط إلى فمها.

شدّ.

انفتح الثوب من الداخل، لا للخارج.

والإبرة هبطت.

تك.

غرزة عبر صدرها.

لم يكن هناك ألم مباشر، فقط إحساس بأن شيئًا يُثبت في مكانه،
كأن جسدها يُعاد تعريفه.

سمعت صوت خالتها، واضحًا هذه المرة، قريبًا من أذنها:

"قلت لك... لا تكملي الثوب."

حاولت فتح عينيها.

لم ترَ ظلامًا...
بل ممرًا طويلًا.

جدرانه من قماش،

أرضيته من وجوه مخيطة،

أفواه مفتوحة في صمتٍ أبدي.

كانت واقفة في منتصفه.

نظرت إلى يديها.

لم تعُد يديها.

كانت خيوطًا.

عقدًا.

غُرَزًا محكمة.

ومن بعيد،

رأت فتاة تدخل الغرفة...

تنظر إلى آلة الخياطة،

تقرأ الورقة المهترئة.

سمعتها تهمس بخوف:

"لا تكملي الثوب...؟"

وفي اللحظة نفسها،
خرج صوت صباح...
ليس من فمها،
بل من الثوب:

"لا تقلقي... بقيت غرزة واحدة فقط."

ثم...

أغلقت الغرفة.

وأطفئت الحكاية.

الفصل الثاني:

لم يسمع أحد صرخة صباح.

في الصباح التالي، كانت الغرفة كما هي...

مرتبة أكثر مما ينبغي.

آلة الخياطة في مكانها، القماش مطوي بعناية، الشمعة مستهلكة حتى آخر قطرة شمع، كأنها أطفئت منذ زمن طويل.

لم يكن هناك دم.

ولا خيوط على الأرض.

ولا أثر لكسر الباب.

فقط الورقة المهترئة، ما زالت داخل الدرج.

لكن جملتها تغيّرت.

لم تعد تقول:
"لا تكملي الثوب."

بل:

"تأخرتِ."

دخلت نادين الغرفة بخطوات مترددة.

لم تكن تعرف صباح جيدًا، مجرد زميلة سكن مؤقتة، لكنها استيقظت ذلك الصباح على إحساس خانق،

كأن أحدهم كان يقف فوق صدرها طوال الليل.

نادت اسمها مرة.

ثم مرة أخرى.

لا جواب.

لفت نظرها صوت خافت...

ليس حركة، بل احتكاك.

صوت خيط يُسحب ببطء.

التفتت.

آلة الخياطة كانت تعمل.

وحدها.

الإبرة تهبط وتصعد بلا يد، بلا قدم على الدواسة.

تك... تك... تك...

إيقاع ثابت... كنبض.

اقتربت نادين، قلبها يتسارع.

لمست الآلة... كانت دافئة.

كأن أحدهم كان جالسًا هنا منذ لحظات.

رأت الثوب.

لم يكن مكتملًا.

لكنه لم يعد مجرد قماش.

كانت هناك انتفاخات خفيفة تحته،

كأن شيئًا ما يتحرك في الداخل...

يتقلّب.

سمعت همسة قريبة من أذنها، لم تكن بصوت أنثوي هذه المرة:

"لا تناديها... لم يعد لها اسم."

ارتدت للخلف، اصطدمت بالجدار.

حين التفتت، رأت المرآة.

لم تكن متشققة.

بل نظيفة... جديدة.

وفيها، لم ترَ انعكاسها.

رأت صباح.

أو ما تبقّى منها.

وجهها كان ثابتًا، بلا تعبير،

فمها مخيط بخيط أحمر غليظ،

وعيناها مفتوحتان، تتحركان ببطء... تتبعان نادين.

رفعت صباح يدها داخل المرآة.

طرقت الزجاج من الداخل.

تك.

في اللحظة نفسها، هبطت إبرة آلة الخياطة.

صرخت نادين، ركضت نحو الباب.

انفتح بسهولة.

لكن الممر في الخارج لم يكن ممر الشقة.

كان أطول.

أضيق.

جدرانه مغطاة بقماش رمادي، تتدلى منه خيوط سوداء.

ومن خلفها، جاء الصوت مرة أخرى...

صوت صباح، بلا فم:

"لا تهربي... الثوب لا يُخاط وحده."

شعرت نادين بشدّ في كاحلها.

نظرت...

خيط خرج من تحت الباب، التفّ حول قدمها.

ثم شد.

سقطت أرضًا، صرخت، حاولت الزحف.

لكن الأرض كانت لينة...

تتحرك.

سمعت أنينًا تحت كفيها.

أدركت متأخرة...

أنها تدوس على وجوه.

وجوه مخيطة.

فُتح الثوب خلفها.

خرج منه نفسٌ طويل...

بارد...

رطب.

وقال صوت ماريل، أقرب من أي وقت مضى:

"كل غرزة تحتاج شاهدًا."

ثم...

سُحبت نادين إلى الداخل.

أغلق الثوب.

وعادت الآلة إلى الصمت.

في المساء، طرقت الجارة الباب.
لم يُجب أحد.

لكنها أقسمت لاحقًا...
أنها سمعت صوت آلة خياطة،
يعمل ببطء...

وينتظر.

الفصل الثالث:

لم يكن يوسف يؤمن باللعنات.

كان يؤمن بالوثائق، بالتواريخ، بالأخطاء البشرية المتكررة.

يؤمن أن كل كارثة، مهما بدت غامضة، تترك أثرًا...

وأن الأثر، إذا تتبعته جيدًا، يقودك دائمًا إلى سبب.

لهذا وقف أمام باب الشقة بعد أسبوع من اختفاء صباح، يحمل ملفًا بنيًا منتفخًا بالأوراق.

لم يكن شرطيًا، ولا محققًا رسميًا، بل موظف أرشيف في دار قديمة للسجلات المدنية.

وكان اسم صباح قد ظهر أمامه ثلاث مرات... في أماكن لا يُفترض أن يظهر فيها اسم واحد.

فتح الباب بسهولة.

لم يُكسر القفل.

لم يُبدّل.

الهواء في الداخل كان ساكنًا... أثقل مما ينبغي.

رائحة قماش قديم، وشيء آخر لم يستطع تحديده—
رائحة غرف أُغلقت طويلًا.

دخل.

الغرفة الرئيسية كانت شبه فارغة، باستثناء آلة الخياطة.

لم تكن تعمل.

لم تصدر صوتًا.

لكنه أقسم لاحقًا...

أنه شعر بها تراقبه.

فتح ملفه.

الورقة الأولى: شهادة وفاة تعود إلى أربعين عامًا،

الاسم: ماريل إبراهيم.

العمر: سبع سنوات.

سبب الوفاة: غير محدد.

الورقة الثانية: بلاغ اختفاء امرأة قبل خمسة عشر عامًا.

الاسم: ماريل إبراهيم.

العمر: اثنتان وثلاثون سنة.

الورقة الثالثة: طلب تغيير اسم قبل عشر سنوات.

من: صباح عبد الرحمن

إلى: ماريل

لم يكن خطأ مطبعيًا.

التوقيع واحد.

شعر يوسف بقشعريرة باردة تزحف إلى عنقه.

رفع رأسه...

المرآة في الغرفة كانت نظيفة على غير المتوقع.

اقترب منها.

لم يظهر انعكاسه فورًا.

تأخر نصف ثانية...

ثم ظهر.

لكن عينيه لم تتحركا حين تحرك.

لمس الزجاج.

من الداخل، ظهرت كف أخرى.
صغيرة.
مخيط معصمها بخيط أحمر.

ارتد للخلف، اصطدم بالطاولة.
الملف سقط...
وتناثرت الأوراق.

واحدة منها لم تكن له.

كانت صفحة من دفتر قديم، مكتوبة بخط طفولي متكسر:

"الثوب لا يُفصّل ليُلبس.

الثوب يُفصّل ليُكمِل."

ارتفع صوت خافت خلفه.

تك...

التفت بسرعة.

آلة الخياطة تحركت قليلًا...

ثم سكنت.

قال بصوت مرتجف، محاولًا التماسك:

"هذا وهم... ضغط... ذاكرة جماعية."

ضحكة قصيرة خرجت من الممر.

ليست عالية.

لكنها قريبة.

ثم صوت...

لا أنثوي ولا طفولي:

"أنت لا تخصّنا."

تنفّس يوسف بعمق، حاول الخروج.

لكن الممر كان أطول مما دخل.

الجدران تغيّرت.

الطلاء صار قماشًا.

الأرض صارت لينة.

توقف.

نظر إلى يديه.

خيط رفيع خرج من راحة كفه.

ثم آخر.

لم يكن ألمًا...
بل إحساسًا بأن جلده لم يعد حدًا.

قال الصوت مرة أخرى، هذه المرة من كل الجهات:

"لكن الفضول… غرزة."

شدّ الخيط.

انغرز شيء في صدره.

ذكرى سُحبت.

نسي اسم أمه.

سقط على ركبتيه، يلهث.

رفع رأسه ليرى الثوب معلقًا في نهاية الممر،

مفتوحًا…

ينتظر.

وفي اللحظة الأخيرة، قبل أن يُسحب إليه،

سمع همسة... ليست لماريل:

صوت صباح.

ضعيف...

مخنوق...

قادم من داخل القماش:

"اخرج... قبل أن تتعلم كيف تُخاط."

توقف الخيط.

للحظة واحدة فقط.

يوسف ركض.

لم ينظر خلفه.

في الخارج، عاد الممر كما كان.

الشقة صامتة.

عادية.

لكنه حين وصل إلى الشارع،

أدرك أنه لا يتذكر لماذا جاء.

في يده...

خيط أحمر.

مربوط حول إصبعه.

ولا ينفك.

***

قبل أن يُخاط الاسم

كانت ماريل تخاف الممر أكثر من الغرفة.

الغرفة ضيقة، نعم، لكنها تعرف حدودها.
أما الممر... فكان يتمدد كلما مشت، كأنه يختبر صبرها،

أو يقيس خوفها خطوة بخطوة.

كانت في السابعة حين أغلِق الباب لأول مرة.

لم يكن إغلاقًا عنيفًا.
لم يكن صراخًا أو ضربًا.
كان هادئًا... وهذا ما جعله أسوأ.

خالتها جلست أمام آلة الخياطة، ظهرها مستقيم أكثر مما ينبغي، قدمها تضغط الدواسة بإيقاع ثابت.

تك... تك... تك...
الصوت كان يملأ البيت، حتى حين تصمت الجدران.

قالت ماريل بصوتٍ خافت:
"أنا بردانة."

لم تلتفت الخالة.

لم تتوقف الإبرة.

قالت فقط:

"الدفء يحتاج صبر."

كانت الخيوط مكدسة حول الطاولة، ألوان داكنة، لا شيء زاهيًا.

ماريل لاحظت أن الخالة لا تخيط ثوبًا واحدًا...

بل أجزاء.

قطعًا غير مكتملة، كأنها لا تنتمي لبعضها.

اقتربت.

رأت شيئًا يتحرك تحت القماش.

تراجعت خطوة.

سألت:

"دا شنو؟"

هذه المرة، توقفت الآلة.

التفتت الخالة ببطء.

عيناها كانتا مرهقتين، لكن فيهما شيء آخر...

جوع.

قالت:

"دا حلم.

ولو ما خيطناه، يفضل يصرخ."

في تلك الليلة، لم تنم ماريل.

كانت تسمع همسات من الممر.

أصوات أشخاص لا تعرفهم، يطلبون أشياء لا تفهمها:

"كمّلي."

"اقفلي."

"لا تتركي الخيط."

قامت من فراشها، حافية القدمين.

مشَت نحو الغرفة.

وجدت الخالة واقفة داخل الثوب.

ليس ترتديه...

بل واقفة فيه.

القماش كان مفتوحًا، والخيوط تخترق جسدها من الداخل، تخرج من فمها، من عينيها.

ومع ذلك... كانت تبتسم.

قالت بصوتٍ ليس صوتها:

"الدور عليك."

صرخت ماريل.

حاولت الهرب.

لكن الممر...

لم يعد ممرًا.

صار أطول.

أضيق.

جدرانه تنبض.

سقطت.

شعرت بشيء يلتف حول كاحلها.

خيط.

شدّها.

أفاقت بعد ذلك لا تعرف كم مرّ من الوقت.

كانت أصغر...

ثم أكبر...

ثم بلا عمر.

كل مرة تُفتح الغرفة،

كل مرة تُكمَل غرزة،

كانت ماريل تكبر سنة...

أو تموت واحدة.

تعلمت سريعًا:

إن لم تتكلم... يتألم الآخرون.

وإن تكلمت... يتألمون أسرع.

فبدأت تهمس.

تتعلم الأسماء.

تبدّل الوجوه.

تدخل الأحلام.

وعندما جاءت صباح...

لم تأتِ كضحية.

جاءت كاستبدال.

آخر ما تذكرته ماريل قبل أن يضيق الثوب حولها،

صوت الخالة...

بعيدًا...

من داخل القماش:

"الاسم لا يهم...

المهم من يبقى."

ومنذ ذلك اليوم،

لم تعد ماريل تبحث عن الخروج.

صارت تبحث عن الذي يليها.

***

يوسف لم يتذكر كيف وصل إلى غرفته.

كان جالسًا على سريره، والضوء مضاء، والنافذة مفتوحة، كأن الليل لم يجرؤ على الدخول.

لكن يده...

يده كانت مربوطة بخيط أحمر.

حاول قطعه.

انقطع المقص.

في اللحظة التي لمس فيها الخيط،

سمع الصوت.

تك...

ليس من الخارج.

من داخله.

أغمض عينيه.

ورأى الممر.

نفس الممر الذي لم يدخله يومًا...

ونفس الممر الذي يعرفه جيدًا.

كان أصغر.

قدماه حافيتان، والأرض باردة.

رائحة القماش تسبق كل شيء.

وفي نهاية الممر، ضوء خافت يتسرب من غرفة مفتوحة نصف فتحة.

سمع صوت آلة خياطة.

تك... تك...

قال بصوت طفل:

"ماما؟"

لكن التي التفتت لم تكن أمه.

كانت امرأة تجلس أمام آلة خياطة، ظهرها مستقيم، شعرها مربوط بإحكام، ويداها تتحركان بسرعة غير بشرية.

لم تنظر إليه.

قالت فقط:

"تعال... بس ما تتكلم."

خطا خطوة.

في الحاضر، فتح يوسف عينيه فجأة.

كان العرق يغمره.

الخيط شدّ على إصبعه، كأنه يعاقبه على التذكر.

وقف، تراجع.

اصطدم بالحائط.

الحائط...

لين.

ضغط عليه بيده، فانغرست قليلًا.

سحبها مذعورًا.

رأى غرزة.

غرزة قديمة...

من نفس الخيط.

عاد المشهد.

المرأة توقفت عن الخياطة.

التفتت.

وجهها لم يكن واضحًا.

ملامحها تتحرك ببطء، كأنها غير متفق عليها.

قالت للطفل يوسف:

"إنت ما المفروض تشوف دا."

صرخ.

حاول الجري.

لكن الممر تمدد.

وفي الحاضر، سقط يوسف على ركبتيه.

الساعة على الحائط بدأت تدور للخلف.

الدقائق تُسحب، لا تمر.

سمع همسًا آخر...

صوت طفلة:

"لا تبكي... لو بكيت، يسرعوا."

رآها.

ماريل.

ليست كما في المرآة.

كانت طفلة فعلًا، تجلس في زاوية الممر، تضم ركبتيها، عيناها واسعتان أكثر مما يجب.

قال لها:

"إنتِ منو؟"

أجابت، دون أن تنظر إليه:

"اللي قبلك."

في الحاضر، ارتفع صوت آلة الخياطة.

ليس من الشقة.

من صدره.

وضع يده على قلبه.

شعر بالإبرة.

لم تدخل بعد...

لكنها تقترب.

ماريل وقفت.

كبرت فجأة.

ثم صغرت.

ثم ثبتت على عمر لا ينتمي لشيء.

قالت له، وصوتها يخرج من كل اتجاه:

"إنت فتحت الملف... ودا كفاية."

قال:

"أنا ما خاطيت حاجة!"

ابتسمت ابتسامة حزينة:

"ولا أنا."

الغرفة اختفت.

كان في الممر الآن.

الحاضر والفلاش باك تداخلا بلا فاصل.

آلة الخياطة في نهايته.

الثوب معلق.

مفتوح.

ومن داخله...

خرجت يد.

ليست يد ماريل.

ولا يد صباح.

كانت يده.

مخيطة...

لكنها تتحرك.

سمع صوته، قديمًا، طفلًا، يقول:

"ما داير."

وردّ عليه صوته الآن:

"فات الأوان."

تقدّم الثوب خطوة.

شدّ الخيط.

الإبرة هبطت.

تك.

وفي اللحظة التي اخترقت فيها صدره،

انطفأ كل شيء.

في الصباح،

استيقظ الجيران على صوت آلة خياطة قادمة من شقة فارغة.

وعلى الأرض،

أمام الباب،

ملف بنيّ مفتوح.

الصفحة الأخيرة كُتبت حديثًا:

الاسم: يوسف

الحالة: قيد الخياطة

***

الفصل الثالث:

الضوء لا يأتي من الأعلى.

يأتي من الخيوط.

—

لا زمن.

لا اتجاه.

أرض من قماش.

جدران من قماش.

الهواء... قماش.

أقدام تتحرك.

لا صوت.

لكن الأرض تنبض تحتها.

أفواه مخيطة.

عيون مفتوحة.

لا رمش.

غرزة تنشد.

غرزة تُشد.

غرزة... تنتظر.

يد تمر.

تتوقف.

تنسحب.

نفس يدخل...

ولا يخرج.

مرآة بلا سطح.

انعكاس بلا وجه.

اسم يُكتب.

ثم يُمحى.

ثم يُعاد بخطٍ أضيق.

آلة خياطة.

لا أحد عليها.

لكن الدواسة تتحرك.

تك.

خيط أحمر يمتد.

يلتف.

يختفي داخل صدرٍ لا يُرى.

ظلّ يقف.

ينحني.

يُسلّم.

الثوب يُغلق.

سكون.

ثم...

غرزة أخيرة

لم تُخَط بعد.

****

أول ما عاد...

كان الألم.

لم يكن حادًا، بل واسعًا، منتشرًا، كأنه هواء ثقيل يملأ الجسد من الداخل.

ثم عاد السمع، متأخرًا، مشوّهًا.

تك...

تبعها صدى.

ليس صدى مكان...

بل صدى ذاكرة.

فتحت صباح عينيها.

لم ترَ غرفة.

لم ترَ ممرًا.

رأت سطحًا أبيضَ مائلًا للرمادي، تتخلله خطوط رفيعة متقاطعة.

احتاجت لحظة لتفهم...

هذا قماش.

كانت ممددة.

لا، مثبتة.

حاولت تحريك أصابعها.

تحركت... لكن ليس كما تتذكر.

كل حركة كانت تكمل غرزة.

رفعت رأسها بصعوبة.

رأت آلة الخياطة أمامها.

قريبة جدًا.

أقرب مما يجب.

وعليها...

يدها.

ليست يدها كما كانت،

بل يد مغطاة بخيوط، الإبرة مغروسة في لحمٍ صار جزءًا من الآلة.

سمعت صوتها.

خرج طبيعيًا، بشريًا، كأن شيئًا لم يحدث:

"أنا... وين؟"

ردّ الصوت من حولها.

ليس واحدًا.

عدة أصوات، متراكبة، هادئة حد الرعب:

"عدتِ."

تذكّرت.

الغرفة.

الثوب.

ماريل.

يوسف.

قالت بلهفة:

"أنا ما دايرة أكمل!"

سكتت الأصوات.

ثم قالت ماريل، من مكانٍ لا يُرى:

"ولا أنا كنت."

بدأ القماش تحتها يتحرك.
انتفاخات بطيئة، كأن أجسادًا تحاول الاستدارة.

رأت وجوهًا.
بعضها تعرفه.
بعضها لم تره يومًا.

يوسف كان هناك.
عيناه مفتوحتان.
لكنهما لا تريان.

صرخت باسمه.

لم يرد.

مدّت يدها نحوه...

فانفصلت عنها.

سقطت اليد على الأرض.

لم يكن هناك دم.

فقط خيط.

امتد من كتفها إلى الأرض، مشدودًا.

قالت بصوتٍ مبحوح:

"دا مو موت... صح؟"

ضحكة قصيرة خرجت من الآلة نفسها.

"الموت نهاية.

وأنتِ... وظيفة."

انخفضت الإبرة.

تك.

شعرت بالغرزة تخترق شيئًا أعمق من الجسد.

ذكرى.

نسيت وجه أمها.

شهقت.

ارتجف جسدها.

قالت ماريل، أقرب هذه المرة، كأنها تقف عند رأسها:

"كل عودة لها ثمن."

صرخت صباح بكل ما تبقى فيها:
"طيب... خلوني أرجع!"

صمت.

ثم...
توقفت الآلة.

لأول مرة.

الخيط ارتخى قليلًا.

الوجوه تحتها سكنت.

قال الصوت الأخير، ببطء، بثقل قرار:

"تعودين...
لكن ليس كما خرجتِ."

انفتح الثوب.

سقطت صباح.

استيقظت في غرفة مستشفى.
ضوء أبيض.

أجهزة تطن بهدوء.

ممرضة كانت بجانبها.

قالت بابتسامة مدروسة:

"حمد لله على السلامة. لقيّناكِ مغمى عليكِ في شقة فاضية."

حاولت صباح الكلام.

نجحت.

"أنا... كنت بخيط."

تبادلت الممرضة والطبيب نظرة قصيرة.

قال الطبيب:

"ما في أي آثار جروح."

نظرت صباح إلى يديها.

طبيعيتان.

ارتاحت.

ثم لاحظت شيئًا صغيرًا.

خيط أحمر...
بارز قليلًا...
تحت جلد معصمها.

لم يره أحد سواها.

وفي تلك الليلة،

حين أُطفئت الأنوار،

سمعت صوتًا خافتًا جدًا...

من داخل صدرها:

تك...

وابتسامة لم تكن لها

ارتسمت على وجهها.

***

في الصباح التالي، لم تعد الخيوط حكرًا على غرفة صباح.

المدينة نفسها بدأت تتحرك ببطء، كما لو أن شوارعها، مبانيها، وأرصفتها... كانت نسجًا ضخمًا، قماشًا حيًا يتنفس.

يوسف كان يمشي في شارع مزدحم، لكنه لاحظ أن الناس يسيرون بلا وعي، خطواتهم متزامنة، أقدامهم تلمس الأرصفة وكأنها خيوط، كل شخص غرزة.

حتى الأشجار... تحركت ببطء، أغصانها تتلوى، أوراقها تتشابك كخيوط متشابكة في نسيج عملاق.

الهواء كان كثيفًا، يحمل رائحة القماش القديم والدم المندمج فيه.

سمع صوتًا بعيدًا، ليس من شيء محدد:

تك... تك... تك...

ارتجف يوسف.

حاول أن ينظر حوله، لكن كل نافذة تعكس وجهه... متغيرًا.

كل باب مفتوح يُظهر ممرًا طويلًا من القماش، يشبه غرفة صباح... ممتدًا بلا نهاية.

لم يجرؤ أحد على الكلام.

حتى السيارات تحركت ببطء، عجلاتها تصنع إيقاعًا ثابتًا، كنبض آلة خياطة عملاقة.

وفجأة، ظهر الثوب في وسط الساحة.

معلق على عمود إنارة، مفتوح، ينبض.

الغرفة، الممر، والمدينة كلها صارت امتدادًا له.

من داخله خرجت أصابع صغيرة، تلمس الأرصفة، الأعمدة، كل شيء... تثبته بخيط أحمر.

صوت ماريل جاء من كل مكان، قريب وبعيد:

"كل شيء يحتاج غرزة."

يوسف اقترب، قلبه يلهث.

حاول أن يقطع الخيط.

لكن امتداده كان بلا نهاية، متشابكًا في كل زاوية، كل جدار، كل نافذة.

ثم ظهر الناس.

لا يتحركون بلا عقل...

بل كما لو أنهم أصبحوا خيوطًا حية، أجزاء من نسيج أكبر.

عيونهم فارغة...

لكن الغرزة تكملهم.

في تلك اللحظة، أدرك يوسف الحقيقة:

الثوب لم يعد مجرد ثوب.
ولا الغرفة مجرد غرفة.
ولا ماريل مجرد شخص.
الغرزة أصبحت المدينة نفسها.

من بعيد، ظهر باب كبير، خشبي، قديم...
مفتوح على غير انتظار.
الضوء يتسرب منه، أبيض وبارد، لكنه لا يُرى مصدره.
ومن داخله، صوت خافت جدًا:

"الذي يجرؤ... فقط من يدخل."

يوسف نظر إلى الباب.

ماريل ضحكت، لا من الثوب، بل من كل المدينة:

"كل من يحاول الهرب... يصبح غرزة جديدة."

والمشهد الأخير قبل أن يخطو:

الثوب ينبض، الخيوط تمتد، المدينة كلها تتحرك ببطء، وكأنها تنتظر أن يدخل

أحد... ليبدأ دورة جديدة من الخياطة.

***

الفصل الرابع:

باب المدينة مفتوح...

ينتظر.

المارة توقفوا، لم يجرؤ أحد على الاقتراب.

لكن فتاة صغيرة، ترتدي معطفًا رماديًا، اقتربت.

لم تسمع الصوت الذي حذّر يوسف، لم ترَ التحركات الغريبة في الأرصفة، لم تشعر بالغرزة.

ظنت أن الباب مجرد باب عادي.

خطوة واحدة...

ثم أخرى...

حتى وطأت قدماها العتبة.

وفجأة، انغلق الباب خلفها.

صوت خشبي يصدح، ثقيل: تك...

المدينة اختفت من حولها.

حل محلها الممر، أطول وأضيق من أي شيء يمكن تخيله.

الجدران تتحرك، تتلوى، تتنفس، والهواء مشبع برائحة القماش القديم... والدم القديم.

رفعت يدها.

لمست الهواء...

كان متينًا، كأنه قماش مشدود، كل لمسة منه تتسرب في يدها، ذراعها، جسدها.

ثم ظهر الثوب.

معلق أمامها، مفتوح، ينبض كقلب حي.

خيوطه تتحرك، تتحرك، تبحث عن شيء... عن يد، عن كتف، عن صدر لتثبيتها.

سمعت همسًا خلفها، من كل مكان:

"كل شيء يحتاج غرزة... كل شيء يحتاجك."

أرادت أن تصرخ، لكن الصوت لم يخرج.

أرادت أن تتحرك، لكن الأرض... لينة، غريبة، كأنها تتحرك بنفسها، تدفعها إلى الأمام.

غرزة... تك.

غرزة أخرى... تك.

انبعث الضوء من الثوب...

نور أبيض وبارد يحيط بها، يضغط على جسدها،

يضغط على صدرها، على رأسها... على عقلها.

ثم ظهرت ماريل.

ليست الطفلة الصغيرة، ولا المرأة، بل شيء بينهما.

جسدها ممتد، أطرافها منحرفة قليلاً، وجهها يشبه القماش نفسه، كل غرزة في وجهها كانت تتحرك وتتنفس.

قالت بصوتٍ واحد... وعلوّه يملأ كل شيء:

"أهلاً بك... الغرزة الجديدة."

الخيوط تمددت.

التفتّت الفتاة، حاولت الجري...

لكن خيوطًا خرجت من الثوب، التفّت حول قدميها، حول يديها، حول قلبها.

آخر ما شعرت به...

هو الإبرة، تغرز في قلبها ببطء، غرزة تلو أخرى...

الدم لا يؤلم... لكنه يصبح جزءًا من القماش، جزءًا من النسيج، جزءًا من المدينة كلها.

ثم ساد الصمت.

الباب ما زال مفتوحًا، ينتظر.

الثوب... ينبض.

والمدينة... تتحرك ببطء، تنتظر غرزة أخرى.

***

الظلام حول صباح بدأ ينسحب ببطء، لكن الضوء الذي ظهر لم يكن ضوء قمر أو نجوم، بل خافتًا ينبعث من صندوق خشبي صغير، مغطى بغبار الزمن.

اقتربت بحذر وفتحت الصندوق لتجد بداخله أوراقًا صفراء مكتوبة بخط يد غامض

ورسومات لثوب متشابك بالخيوط، وأسماء أشخاص لا تعرفهم، لكنها شعرت أنهم مرتبطون بها بشكل غامض.

بين الأوراق، رسالة قصيرة مكتوبة بحبر متلاشي:

"من ينسج أحلام الآخرين، لا بد أن يحيا كوابيسهم. تعرفي على خيوطك، واعلمي أن كل سر يخفي مفتاحًا."

بينما كانت تقرأ، سمع صوتًا خافتًا من الزاوية:

"صباح، لا تتركي الماضي يبتلعك. أنت أقوى من الظلال التي تحيط بك."

التفتت لترى ظل الطفلة، لكنها لم تكن مهددة، بل تحمل وعدًا خافتًا بالتحرير.

الثوب الذي يحيط بها بدأ ينبض كقلب حي، كل خيط فيه يروي قصة يجب أن تسمع، وكل قصة تقربها خطوة نحو الحقيقة.

لكن في قلب هذا العالم الغريب، بدا السؤال أكبر:

هل تستطيع صباح فك شفرات هذا الثوب الملعون قبل أن تصبح جزءًا منه إلى الأبد؟

بدأ الظل أمامها يتضح أكثر، ملامحه تشبه طفلة صغيرة لكنها تنبض بحزن أعمق مما يمكن أن

تتحمله الروح.

اقتربت صباح ببطء، وكلما اقتربت، بدأت ملامح الظل تتشوه وتختفي، كأنه يحاول إيصال رسالة قبل أن

يتلاشى.

همس الصوت في أذنها:

"لا تخافي، ما أنتِ عليه ليس نهاية القصة، بل بداية كشف الغطاء. كل خيط في الثوب يحمل جزءًا من ألمنا، وأنتِ من سيحررنا أو تحكم علينا بالبقاء هنا."

مدت صباح يدها نحو الثوب، فأحست بندى بارد يسري في عروقها، وأحلامها القديمة والمفقودة تتدفق إلى عقلها، مختلطة بذكريات ليست لها.

تذكرت صوت أمها، ضحكتها... ثم فجأة تلاشى كل شيء، ووجدت نفسها على حافة هاوية بلا قاع.

تذكرت الرسالة:

"تعرفي على خيوطك، واعلمي أن كل سر يخفي

مفتاحاً."

مع تزايد نبضات الثوب، أدركت أنها عليها نسج حكايتها بنفسها، التقاط كل خيط من الماضي ونزع غبار الألم عنه، لصنع المفتاح الذي يحررها.

لكن فجأة، جاء صوت من بعيد، مزيج من الصراخ والضحك، يقترب بسرعة... شيء في الظلام لا يريد أن يسمح لها بالهرب.

الأصوات تقوت، تتحول من همسات إلى صيحات مكتومة، صادرة من زوايا الظلام المحيطة بها، كنداءات أرواح حبيسة داخل الثوب، تصرخ بلا صوت وتطلب الخلاص.

الثوب نفسه بدأ يتحرك ككائن حي، خيوطه تلتف حول

ساقيها ببطء، تثبتها في مكانها، وكأنه يقول:

"لا مكان للهرب هنا، ماريل."

حاولت صباح التحرر، لكن كل حركة تزيد التشابك، وبرودة تغزو عظامها.

وفجأة، ظهر أمامها ظل أكبر، أشد قتامة، لا يحمل ملامح واضحة، لكنه يحوم كالصياد.

صوت الطفلة عاد بصوت متهدج:

"هذا هو الحارس، حامي أسرار الثوب. لن يسمح لك بالكشف عن ما خبأته الخيوط. لكنك الوحيدة التي تستطيعين التفاوض معه... أو مواجهته."

الظل وقف أمامها، الهواء من حوله ثقيلا، يلسع روحها.

نيران صغيرة تشتعل على أطراف خيوط الثوب.

صباح شعرت أن العالم كله أصبح محاصرًا بين خيوط هذا الثوب، وأن لحظة الحقيقة قد اقتربت.

تقدم الظل القاتم بخطوات بطيئة وثقيلة، الهواء أصبح ثقيلاً، تكاد تسمع دقات قلبها تتسارع في صمت الظلام.

تحدث بصوت خافت لكنه مخيف:

"أنتِ تريدين فك خيوط الثوب، لكن هل تدرين كم من الأرواح رُهنت هنا؟

كم من الأسرار دفنت في الظلال؟"

ارتجفت صباح، لكن في أعماقها اشتعلت شرارة تحدٍ جديدة.

رفعت يديها بثبات، تنسج في ذهنها كلمات مواجهة.

ابتسم الظل ابتسامة لا تترك رحمة، ثم قال:

"ابدئي... لكن تذكري، كل خيط تقطعينه سيكشف جزءًا من ماضيك، وربما جزءًا منكِ ستفقدينه."

الأصوات ازدادت حدة، المكان كله بدأ يتلاشى ويتحول إلى متاهة من الخيوط المتشابكة.

صباح تأملت الثوب بين يديها، وقررت أن تبدأ الرحلة... الرحلة التي قد تعيد لها ذاكرتها، أو تحطمها إلى الأبد.

هل ستتمكن من نسج نهايتها؟

أم ستبتلعها الظلال مع كل خيط تقطعه؟

***

الفصل الخامس:

صباح وقفت أمام الثوب، يديها ترتجفان، لكنها عرفت أن التردد هذه المرة قد يكون النهاية.

الظل القاتم، الحارس، وقف أمامها، صامتًا، لكنه ينبض بالتهديد في كل حركة.

أخذت نفسًا عميقًا، وأصابعها تلامس أول خيط.

غرزة واحدة... تك.

انطلقت أصوات مكتومة من كل زاوية، كأن كل روح محبوسة في الثوب تهمس مرة واحدة:

"أخيرًا..."

الثوب ارتجف في يدها، الخيوط تلتف حول ساقيها مرة أخرى، لكن هذه المرة لم يكن ذلك تهديدًا... بل اختبارًا.

كل غرزة تقطعها تشعر بأن الألم من حولها يتغير، يتحول إلى وميض خافت... كإشارات صغيرة من الحقيقة.

الحارس تحرك، يقترب بخطوات ثقيلة، صوته هادئ لكنه يخيف:

"لا تتوهمي أنك وحدك هنا... كل غرزة هي ثمن، وكل ثمن يختبر روحك."

صباح شعرت بوخز في صدرها، ليس من الخيوط، بل من ذكريات مختلطة، لم تعرفها، لكنها تشعر أنها جزء منها... جزء من الماضي الذي لم تعشه بعد.

غمست أصابعها مرة أخرى، غرزة ثانية... تك.

وفجأة، بدا الحارس وكأنه يذوب، يتحول إلى سحب دخانية حول الثوب، صوته يتغير:

"الآن، تعرفين طعم القوة والخطر معًا..."

الثوب بدأ يتوهج أكثر، كل خيط ينبض باللون الأحمر الباهت، كأنه دم مختلط بالضوء.

صباح شعرت بشيء جديد: القدرة على رؤية خيوط الماضي والحاضر مترابطة، كل روح، كل سر، كل ألم... مرتبط بها، لكنها أيضًا قادرة على تغييره.

أصوات الأرواح حولها تعالت:

"خذي القرار، ماريل... كل خطوة تقررينها هي حياتك وحياتنا."

عرفت صباح الآن: أن كل غرزة ليست مجرد حركة...

إنها اختيار مصيري، كل خط من الخيط يكشف جزءًا

من الحقيقة، لكنه قد يسلبها جزءًا من نفسها.

رفعت رأسها، نظرت في عيون الحارس، وقالت بصوت ثابت:

"سأخوض هذه الغرز، وسأكشف أسرار الثوب... ولن أترك الظلال تتحكم بي."

الحارس ابتسم، رغم كونه غامض الشكل، وقال:

"إذًا... لنبدأ الرحلة الحقيقية."

الثوب تمدد أمامها، الممر بدأ يتسع، الأصوات تحولت إلى موسيقى مخيفة من ذكريات وأحلام، كل غرزة كانت خطوة نحو قلب الثوب، نحو أسراره، نحو مواجهة الحقيقة.

أول غرزة... كانت البداية.

ولكل خطوة بعد ذلك، كانت صباح تعلم أن كل ثانية

في هذا العالم ليست مجرد لحظة، بل صراع بين النور والظلام، بين الحرية والسجن الأبدي داخل الخيوط.

***

الفصل السادس:

الثوب أمام صباح أصبح أضخم، كأن الممرات كلها امتدت بلا نهاية، كل خيط ينبض بصوت نبض الأرواح المحبوسة داخله.

الأصوات تحولت من همسات مكتومة إلى صرخات تتقاطع، تتشابك، أحيانًا تعكس ألمها، وأحيانًا تظهر ذكريات ليست لها لكنها تشعر بأنها جزء منها.

الحارس وقف أمامها، أكبر من أي شكل يمكن تخيله،

جسده ممتد وكأنه نسيج من الظلال نفسها، صوته قادم من كل الجهات:

"أخيرًا، وصلنا إلى قلب الخيوط... هل أنت مستعدة لمعرفة ما خبأه الماضي؟"

رفعت صباح يديها، وأمسكت الخيط الأول.

غرزة... تك.

انفتح أمامها مشهد غريب:

رجل يبكي في عتمة، امرأة تهمس بكلمة وتموت واقفة، طفل يُدفن حيًا... كل هذه الصور اختلطت بالواقع، وكل غرزة جديدة كانت تضيف طبقة من الوعي، لكنها كانت تكشف جزءًا من نفسها لم تكن تعرفه.

الحارس اقترب أكثر، خيوطه تتخلل الهواء حولها، تحيط بها:

"كل خيط تمسكيه يربطك بنا، كل خطوة تقطعينها تغرسك في الواقع... والخيال..."

تذكرت صباح رسالة الطفلة:

"كل خيط في الثوب يحمل جزءًا من ألمنا، وأنت من سيحررنا أو يحكم علينا ب

البقاء هنا."

قررت أن تتحدى ذلك الألم.

غرزة تلو الأخرى، بدأت تحرك ذكريات الطفولة المفقودة، ضحكات أمها، خطواتها الأولى، صرخات ألم لم تفهمه...

كل خيط أصبح وسيلة لتحرير جزء من الأرواح داخل الثوب، ولكن مع كل غرزة، شعرت بأن جزءًا من هويتها يختفي، يتلاشى في الألوان الحمراء والخيوط الباهتة.

وفجأة، ظهر الحارس بحجمه الكامل، كيان من الظلال، صوته صار أقوى وأكثر تهديدًا:

"أخيرًا... وصلت إلى ما كنت تبحثين عنه. ولكن هل لديك الشجاعة لمواجهة الحقيقة كلها؟"

الأرض تحتها صارت ناعمة كقماش، الجدران تتحرك كما لو كانت تتنفس، والهواء أصبح ثقيلًا، مشبعًا بروائح الدم والغبار والزمن.

الأصوات حولها صارت تتشكل، صور الأرواح تتداخل معها، تكاد تخنقها، لكنها شعرت بشيء مختلف...

شيء يشبه السيطرة، شعور أنها أصبحت جزءًا من الثوب، لكنها أيضًا بدأت تفهمه، تشعر بنبضه... تعرف أين الألم وأين الخلاص.

أخذت صباح نفسًا عميقًا، وصرخت في الظلام:

"لن أسمح لك أن تتحكم في حياتي! سأكشف أسرار هذا الثوب، وسأحرر كل ما بداخله!"

غرزة تلو الأخرى، كانت الحبال والخيوط تتراجع، بعض الأرواح تبدأ بالتوهج، تتحرر من الظلال.

الحارس تراجع خطوة، صوته صار أجوفًا:

"إذًا... تختارين الحرية على السجن... لكن تذكري، كل خيط تقطعينه يكشف جزءًا منك، وستدفعي الثمن."

مع أول شعور بالتحرر، بدأت غرفة الثوب تتلاشى، الممرات تتقلص، لكن قلب الثوب... ظل نابضًا، ينبض بالحرية... وبالتحذير:

"هذه ليست النهاية... كل غرزة حرية، وكل حرية ثمنها، وستتعلمينه قريبًا."

صباح وقفت، تتنفس بصعوبة، عيونها تلمع بنور جديد، شعرت بأن جزءًا من الأرواح قد تحرر، وأن جزءًا من الماضي أصبح الآن تحت سيطرتها، لكنها عرفت أن الرحلة لم تنته بعد... وأن الثوب سيظل يراقب، يختبر، ويخيط المستقبل بأيدي جديدة.

***

الممر أصبح ضيقًا أكثر من أي وقت مضى، كل جدار ينبض بخيوط حمراء وباهتة، وكل خطوة تصنع صدىً في الزمان والمكان.

الثوب أمام صباح كان أكبر، أضخم، ينبض كقلب حي، كيان متشابك من الأرواح، الأسرار، والكوابيس.

الحارس وقف أمامها، أكبر وأشد قتامة من أي وقت، صوته كخرير الظلام:

"أخيرًا وصلتِ... حانت لحظة الاختيار. الحرية أم الغرزة؟"

صباح نظرت حولها، رأت وجوه الأرواح التي تحررت جزئيًا، رأت ذكرياتها، ضحكاتها، بكاءها، كل ما فقدته وكل ما ستخسره.

الغرفة بأكملها صارت تندمج معها، كل خيط أصبح جزءًا من جسدها، وكل خطوة تقطعها تكشف جزءًا من روحها.

أمسكت بأول خيط، غرزة واحدة... تك.

شعرت بالتحرر، بالأمل، ولكن الغرفة اهتزت، صوت الحارس أصبح أعنف:

"كل خطوة نحو الحرية تترك جزءًا منك هنا... هل أنت مستعدة لدفع الثمن؟"

صباح أغلقت عينيها، تذكرت كلمات الطفلة:

"كل خيط يحمل جزءًا من ألمنا، وأنتِ من سيحررنا أو يحكم علينا بالبقاء هنا."

غرزة ثانية... تك.

غرزة ثالثة... تك.

كل غرزة كانت تفتح قلب الثوب، تكشف أسراره، وتحرر أرواحًا جديدة، لكنها شعرت بأن جزءًا من هويتها يتلاشى مع كل نبضة.

الحارس اقترب، محيطه يضغط عليها:

"حرية... أم الغرزة؟ لا خيار بلا ثمن."

صباح فتحت عينيها، نظرت في عيني الحارس، وقالت بصوت ثابت رغم الخوف:

"لن أترك أحدًا يبتلع الأرواح بعد الآن... سأختار الحرية... لكنني سأأخذ معي جزءًا من كل من رُهنت أرواحهم هنا."

الثوب ارتجف، الخيوط بدأت تنفصل عن ساقيها، تتحرك حول الحارس، تتحول إلى وهج من الأرواح، بعضهم يبتسمون لها، البعض الآخر يصرخ، لكن كل شيء بدأ يتشكل بطريقة جديدة.

الحارس صرخ، تحطم جزء من ظله، لكنه لم يختفِ بالكامل:

"اختيارك صحيح... لكن تذكري، الحرية ليست بلا ثمن... كل غرزة حررتك، وكل خيط لم تكمليه سيظل ينتظر."

صباح شعرت بالهواء يداعب وجهها، المكان بدأ يستقر، الضوء أصبح أكثر وضوحًا، لكنها نظرت إلى الثوب الأخير، الشعور بأنه لم ينته بعد، أنه لا يزال يراقب، يتنفس، ويحتفظ بأسراره.

ابتسمت صباح، رغم الرعب:

"قد لا أنتهي من كل الخيوط، لكن سأبدأ... وسأواصل حتى النهاية."

الثوب ارتجف مرة أخيرة، ثم هدأ، لكن قلبه النابض بقي، كأنه يراقب كل خطوة جديدة في المدينة، كل

غرزة مستقبلية، كل اختيار آخر.

الأرواح التي تحررت تلاشت في الضوء، لكنها تركت وراءها شعورًا غريبًا: الحرية ليست مطلقة... لكنها ممكنة.

صباح وقفت، يدها لا تزال تلمس أول خيط، عيناها تلمعان بالوعي الجديد، عالمة أن الرحلة لم تنته بعد... وأن كل اختيار في هذا العالم مرتبط بالخيوط، بالأرواح، وبالكوابيس التي تنتظر الغرز القادمة.

وفي الزاوية، همست الطفلة بصوت خافت:

"أخيرًا... صار لنا من يراقب النسيج."

ووسط الصمت، بدا الثوب ينتظر... ينتظر أول غرزة جديدة.

***

المدينة لم تعد كما كانت.

الأرصفة، الجسور، الشوارع، وحتى النوافذ... كلها أصبحت امتدادًا للخيوط، كأن ثوب الأحلام يمتد في كل زاوية من الواقع.

المارة يتحركون بلا وعي، خطواتهم متناغمة مع نبضات الثوب، بعضهم يبتسم بلا سبب، والبعض الآخر يصرخ داخليًا بلا صوت.

الأصوات المكتومة للأرواح المحررة تتردد بين المباني، أحيانًا همسًا، أحيانًا صراخًا مكتومًا، وكأن المدينة نفسها تتنفس الألم والتحرر معًا.

صباح، من مكانها الجديد، تستطيع رؤية الخيوط تتحرك بين المباني، بين الناس، بين الشوارع، كأنها شبكة ضخمة تربط كل شيء: الماضي بالحاضر، الخوف بالأمل، الغرق بالتحرر.

كل خيط ينبض بصوت نبضه الخاص، وكل غرزة جديدة يمكن أن تغيّر مسار حياة أحدهم، أو تحرير روح، أو حتى دفع مدينة بأكملها نحو الضياع.

الطوفان لم ينته، لكنه أصبح خاضعًا لوعي جديد...

وعي صباح.

في بعض الزوايا، تظهر أرواح صغيرة، تشبه الطفلة، تراقب المدينة بعينين متوهجتين، تبتسم لها أحيانًا،

وتهمس:

"كل خطوة مراقبة... كل اختيار غرزة جديدة... لكنك بدأتِ النسيج الحقيقي."

والخيوط التي لم تُكمل بعد، تنتظر، تمتد صامتة بين المباني، تنتظر أن يُمسك بها من يجرؤ، أن ينهي أو يبتكر، أن يحيا بين الألم والحرية معًا.

حتى الثوب نفسه، في قلب المدينة، ما زال ينبض... ينتظر الغرزة القادمة.

ويظل السؤال:

من سيجرؤ على إمساك الخيوط بعد ذلك؟ ومن سيصبح جزءًا من النسيج الأبدي؟

المدينة، الآن، صارت مجرد امتداد من الخيوط...

وعالمًا جديدًا بدأ يتشكل من قلب الثوب، حيث الرعب، الأمل، والكوابيس كلها... متشابكة بلا نهاية.

***

صباح وقفت على حافة المدينة، عيناها تلتقطان خيوط الثوب الممتدة بين المباني، بين الناس، بين الأرصفة، وكأن العالم كله أصبح امتدادًا للنسيج نفسه.

الهواء ثقيل، محمّل بالهمسات، بالأصوات المكتومة، بصدى أرواح تحررت وجزء منها ما زال عالقًا بين الخيوط.

في زاوية بعيدة، ابتسمت الطفلة، لم تعد مجرد ظل، بل شعور خافت بالتحرر يراقب كل خطوة، همست:

"كل غرزة حياة... وكل اختيار أثر..."

الثوب في قلب المدينة لم يعد أداة رعب فحسب،

أصبح اختبارًا للوعي، للحرية، لقدرة كل من يمسك بالخيوط على التعامل مع الألم والأمل معًا.

صباح شعرت بثقل القرار، لكنها أدركت شيئًا عميقًا:

كل خطوة تخوضها، كل غرزة تقطعها، ليست مجرد تحرير لأرواح أخرى، بل رحلة داخل نفسها، مواجهة لماضيها، واكتشاف لقدرتها على نسج الواقع من جديد.

المدينة تتحرك بصمت، الناس يمشون كخيوط متشابكة، بعضهم يبتسم، وبعضهم يصرخ داخليًا، لكنها تعرف الآن أن الخيارات تصنع النسيج، وأن النسيج نفسه أبدي.

نظرت صباح إلى الثوب، شعرت أنه يراقبها، وكأن كل خيط يناديها باسمها، لكن

هذه المرة لم تعد خائفة.

همست لنفسها:

"لن أنتهي من كل الخيوط... لكن سأواصل، خطوة غرزة... خطوة حياة."

والمدينة، والأصوات، والخيوط، والكوابيس... كل شيء استمر، ممتدًا بلا نهاية.

كل غرزة حرية... وكل حرية ثمنها...

وسؤال واحد ظل يلوح في الأفق:

من سيكون التالي الذي يجرؤ على الإمساك بالخيوط؟ ومن سيصبح جزءًا من النسيج الأبدي؟

الثوب... ينتظر، صامتًا، لكنه ينبض بالوعي، كأنه يراقب كل خطوة جديدة، كل خيار جديد، وكل حياة جديدة...

ليظل الرعب والأمل والفلسفة متشابكين بلا نهاية.

رفعت صباح يديها بثبات، تغرز خيطًا جديدًا في الثوب، تدرك أن كل حركة ليست مجرد غرزة، بل اختيار ينسج

الواقع من جديد.

الظل القاتم توقف أمامها، يراقب، لكنه لم يجرؤ على الاقتراب.

المدينة من حولها صامتة، تتنفس بصمت ثقيل، تنتظر الغرزة القادمة، التغير القادم.

همست الطفلة:

"كل من يخيط... يصبح جزءًا من النسيج."

صباح نظرت إلى الخيوط الممتدة بلا نهاية، إلى الأرواح التي احتجزها الثوب، إلى الشخصيات التي أصبحت غرزة في قصة أكبر من أي إنسان، وابتسمت، ليست فرحًا، بل إدراكًا:

"أنا جزء من كل هذا... وكل هذا جزء مني."

الهواء ارتجف.

الآلة توقفت.

الثوب... ينبض.

وفي اللحظة الأخيرة، قبل أن تخطو خطوة أخرى، فتح باب قديم، خشبي، كبير... ينساب منه ضوء أبيض.

صوت خافت همس:

"من يجرؤ... يدخل."

صباح ترددت، نظرت إلى الخيوط، إلى المدينة، إلى الأرواح التي تنتظر، ثم ابتسمت للمرة الأخيرة... خطوة واحدة، واختفت.

الخيوط اهتزت...

الثوب... ينبض...

والمدينة... صامتة، تنتظر غرزة جديدة، شخصًا جديدًا، قصة أخرى...

***

خلاصة القصة:

صباح ماريل، فتاة جميلة ورقيقة لكنها محاطة بجروح خذلان دفعتها للانعزال والبحث عن الغموض والإثارة.

تبدأ رحلتها عندما تكتشف صندوقًا قديمًا في غرفتها يحتوي على ورقة غامضة تحمل رموزًا سرية، تدعوها إلى عالم الظلال والقوى الخارقة.

مع تصاعد الأحداث، تلاحقها ظلال غريبة ونداءات خفية تقودها إلى مكتبة مهجورة، حيث تواجه مرآة

تعكس جوانب متعددة من ذاتها، وتبدأ في اكتشاف قوى جديدة لكنها مليئة بالصراعات الداخلية بين النور والظلام.

صراع صباح ليس فقط مع ما حولها، بل مع نفسها أيضاً، بين رغبتها في الانتماء وخوفها من فقدان ذاتها للظلام الذي يهدد بابتلاعها.

النهاية تترك القارئ في حالة ترقب، مشوقة ومفتوحة، تحث على التساؤل: هل ستنتصر نورها أم ستغرق في ظلالها؟

صباح ماريل، الفتاة العادية التي لم تكن تعرف شيئًا عن الأسرار الكامنة في العالم من حولها، تُجبر على مواجهة قوة غامضة عندما تصبح حارسة خيوط الأحلام بين النور والظل.

رحلتها تبدأ من مكتبة مهجورة وتمر عبر متاهات من الرعب والغموض، حيث تواجه كوابيسها ومخاوفها

العميقة، وتكتشف أن الظلام ليس فقط خارجها بل يسكن داخلها أيضاً.

مع كل خطوة تخطوها، تزداد قواها، لكنها تدفع ثمنًا باهظًا، فتجد نفسها أمام مرآة تعكس جوانب مظلمة من روحها، تلمح في عينيها وهجًا حمراء تنذر بمعركة داخلية ليست سهلة.

النهاية ليست نهاية فعلية، بل بداية جديدة من الصراع الأبدي بين الضوء والظلام، حيث تصبح صباح ليست فقط حارسة للأحلام، بل حارسة ذاتها، في معركة مستمرة مع ظل لا يهدأ.

القصة تترك القارئ في حالة ترقب وقلق، بين الأمل والرهبة، متسائلًا: هل سينجو ضوءها؟ أم ستبتلعها الظلال إلى الأبد؟

#عمر إبراهيم

#اسنسفوسكي